

## مسرح الدمى ومسرح خيال الظل

حسين ناجي\*

### الدمى: لمحة تاريخية

لعبت الدمى بكل أشكالها وأحجامها المتنوعة دورًا مهمًا في حياة الشعوب منذ أربعين ألف سنة، فهي رمز للخشب، ورمز للمطر، ورمز للصحة، والسعادة، وأخيرًا هي الآلهة التي عبدتها تلك الشعوب، وكل ذلك من سيطرة الخرافات على بدائية الإنسان منذ أقدم العصور. وأول دمي اكتشفها علماء الآثار كانت تمثل امرأة بصدرها العارم وبطنها المنتفخ كرمز للخشب وهي مصنوعة من الفخار وقد وجدت هذه الدمى في مناطق آسيوية وأفريقية وبقيت المرأة تحتل شكل الدمية مدة طويلة من الزمن برموزها المختلفة دلالاتها.



باليونان  
الشعبية  
وعمد قدماء الهنود قبل  
خمس ألاف سنة إلى نحت تماثيل  
مصغرة للاله براهما ممتطيًا  
الإوزة وأخرى للثور شيفا وزوجته  
وثالثة للنمر دورنما، وهكذا سكنت  
هذه الآلهة التي عبدتها هذه  
الشعوب جسد الدمية قابلة  
للعبادة، وفي آسيا صنع البوذيين  
تماثيل مصغرة لبوذا من الخشب أو  
الحجارة.

وفي مصر قام الفراعنة بصنع دمي  
بشكل الناس العاديين رجالاً ونساءً  
بالغين كالخدم وأصحاب المهن  
الدنيا؛ وذلك لدفن هذه الدمى في  
قبور ملوكهم وأمرائهم وأصحاب

أما الرومان فقد صنعوا الدمى بشكل جنود لتسلية  
صغارهم. إن تحول الدمية من هيئة البالغين رجالاً  
ونساءً إلى هيئة الأطفال قد جاء مصادفة ودون  
تخطيط وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد إذ قام  
أحد صنّاع الدمى في اليونان بصناعة دمية لأم وبين  
يديها دمية لطفلها تلاعبه فوجد أن الناس قد أقبلوا  
على دمية الطفل وحرصوا على اقتنائها وبالتدريج  
ازدادت شعبية دمي الأطفال وزاد إقبال الناس عليها  
وأخذ صنّاع الدمى يهتمون كثيرًا بصناعتها.  
صانعة الألعاب روث هاندلر كانت تهتم كثيرًا بصناعة

العالية من كهنة ورجال القصر من أجل خدمة  
المتوفى وتلبية حاجاته. ومن الملاحظ أن هذه الدمى  
جميعها لم تكن لأطفال بل لنساء ورجال بالغين  
لتأدية وظيفة محددة.

وبدأ اليونان في عام 500 ق م بصنع دمي ذات خصور  
متحركة وشعر طبيعي إذ ربطوا المفاصل والأوراك  
والأكتاف والأكواع والركب بمسامير بسيطة، وكانت  
هذه الدمى بشكل إناث بالغات حتى تلعب بها الفتيات،

\*ناقد وصحفي اردني



ونراه هازلًا مستمتعاً بجمال الطبيعة واصفاً لها ورأسها، والمغني من أجلها. صنع الإنسان القديم الدمى بتناقض وظيفتها، فهي الألهة التي يعبد، وهي الأرواح الشريرة التي يخاف منها ويكرهها في الوقت ذاته، وإذا أجزنا لأنفسنا أن نقول عن القناع: إنه دمية مسطحة ذات بُعد واحد نصل بذلك إلى أن القناع هو أول دمية صنعها الإنسان بنفسه ولتفسيه في الوقت ذاته.

أخضى الإنسان وجهه بالقناع لأسباب أمنية محاكياً بذلك الحيوانات ظناً منه أنها سوف تهابه وتهرب منه، وأما إنسان هذا العصر فأظن أنه ما زال يلبس قناعاً ما على وجهه، حتى أصبحت حياته الحالية مجموعة من الأقنعة يلبسها حسب الموقف والحاجة، فهناك قناع المظهر، وقناع الكلام، وقناع الدين وقناع المال إلخ.. وما يهمنا هنا: كيف استخدم الإنسان القديم القناع لغاية المحاكاة والتمثيل؟

إن كثرة الأقنعة داخل المعابد في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين يدلنا على أن رجال الدين كانوا يستخدمون هذه الأقنعة عند صلواتهم، ويؤكد هذا كتاب العادات والتقاليد في مصر القديمة للكاتب المؤرخ "ولكنسون" حيث يقول: إن رجل الدين المصري كان في الاحتفالات الجنائزية التي كان يقيمها للفرعون الكبير يلبس قناعاً يخاطب به الأرواح الشريرة للابتعاد ويقوم بحركات أقرب منها للتمثيل من الصلاة.

الدمى التي تمثل أطفالاً وتخييط لها الملابس المناسبة وتختار لها الشعر حتى لون العينين وكانت ابنتها باربي التي ولدت عام 1917م. تساعدها في صنعها وحين تزوجت باربي فكرت مع زوجها الذي كان يصنع بيوتاً للدمى أن يفتحا مصنعاً للدمى خاصاً بهما، وصممت في بداية عملها دمية بهيئة فتاة بالغة كاملة الملامح وأسماها على اسمها باربي وذلك العام 1958، ولاقت هذه الدمية شعبية كبيرة في أمريكا وتدرجياً انتشرت في بلدان العالم ولم تزل دمية باربي تتصدر دمي العالم بشكلها الذي نعرفه.

### الدمى ومسرح البدايات

مال الإنسان إلى محاكاة الطبيعة بكل ما فيها من حيوانات ونباتات ومظاهر طبيعية كالبرق منذ بدء الخليقة، وكان الإنسان مقلداً محترفاً في هذه المدّة البدائية من حياته، وربما لا نبتعد كثيراً عن الحقيقة إذا قلنا: إنه ما زال في كثير من أموره الحياتية والاجتماعية مقلداً، متقمصاً الأدوار والشخصيات معاً، من هنا نرى أن الإنسان كان وما زال مشدوداً إلى كل شيء متحرك في حياته، فهو ما زال يشاهد النجوم، والرياح، والأشجار التي تتجاوب مع حركة الرياح، والمطر ونزول الثلج، ونراه في كل ذلك جاداً دارساً لكل ما هو متحرك

وفيه وعنه هو دميمة دميمة، والدميمة اليوم ليست وسيلة عرض مسرحي فقط، إنها مادة تعليمية، وترفيهية للكبار والصغار على حد سواء.

مسرح الدمى أو عروض الدمى كما يُسمى هو استخدام الدمية في العرض المسرحي كجزء أساسي، وتُقسم من حيث استخدامها إلى ثلاث صور هي:

1 - مسرح الدمى والذي يعتمد على الدمية التي تتحرك بواسطة اليد أو التي تلبس في كف الممثل، وهي أقدم الفنون التي عُرفت بعد القناع.

2 - مسرح الدمى المتحركة / العرائس، وهذه جاءت بعد الدمية ذات القطعة الواحدة، وهي تتحرك بواسطة خيطان مثبتة في الأجزاء المتحركة فيها مثل اليد، والرأس، والقدمين، وأحياناً الخصر، وهي عند تنفيذها أكثر صعوبة، وتحتاج إلى مهارة عالية وحرفية متميزة في التحريك.

3 - مسرح الدمى الصوري الخيالي / خيال الظل وقد كان يُسمى قديماً مسرح الخيالة لأن خيال الدمية هو الذي يظهر للمتفرجين، وهذا النوع بحاجة إلى تقنية ضوئية خاصة حتى يتم العرض، ولم تستطع الدراسات البحثية حول هذا المسرح تحديد هويته الجغرافية، والزمن الذي ظهر فيه، وإن كانت بعض الدراسات تميل إلى أن الهند هي البلد الأول الذي عرف هذا النوع من مسارح الدمى، يقول لاندو في كتابه (تاريخ المسرح العربي): رغم كل ما قيل عن ميلاد المسرح في الهند لكنني لا أستطيع تأكيد ذلك؛ لأن ما ينطبق على الهند ينطبق أيضاً على اليابان التي تزامن ظهور المسرح

ظل القناع وسيلة من وسائل التمثيل حتى العصر اليوناني حيث كان الممثلون يلبسون الأقنعة التي تدل على آلهة معينة كما روي عن مسرحيات سوفيكليس اليوناني ومسرحيات يوروبيدس أيضاً، ونجد في هذه الأيام القناع مستخدماً في المسرح والسينما بدلالات مختلفة عن دلالات المسرح اليوناني.

قلنا إن القناع أول دميمة صنعها الإنسان، لكنه ليس آخر شكل من أشكال الدمى، فقد صنع الإنسان القديم قبل أكثر من خمسة آلاف سنة في مصر وبلاد الرافدين دمى كما جاء في السرد التاريخي للدمى، وهذه الدمى كانت لها وظيفتان هما: العبادة، والتعويدة، بمعنى أن الدمية صُنعت على شكل آلهة يحملها الإنسان المؤمن بها في حله وترحاله، وأيضاً كانت تُستخدم كتعويدة عند المشعوذين والمنجمين ولم تُستخدم كوسيلة تعبيرية مسرحية كما حصل مع القناع إلا في وقت متأخر عند الهنود في القرن العاشر قبل الميلاد، وكذلك في الصين في الزمن ذاته، وكانت الدمية في بداية الأمر قطعة واحدة، لكن الصينيين وجدوا في ذلك صعوبة في تحريكها، فصنعوا لها المفاصل والأجزاء المتحركة، وكانت تُوصل بواسطة خيوط رفيعة، ثم أسلاك معدنية، وهو ما يُسمى في العصر الحديث مسرح العرائس، ثم عرف الإنسان مسرح خيال الظل.

الدمى كوسائل تعبيرية تغيرت أشكالها، وتنوعت مواد صنعها عبر التاريخ البشري الطويل متأثرة بالحضارة، والحقبة التاريخية التي تمثلها، والمنطقة الجغرافية التي تعيش بها، إلى أن وصلت إلى حد إمكانية اعتبار أي شيء يمكن تحريكه، والتحدث وإصدار الأصوات منه



في العصر العباسي الأول إشارة لمسرح خيال الظل يوردها الشابيشتي في كتابه "الديارات" تقول الحكاية: إن الشاعر دعبل الخزاعي المشهور بهجائياته قد غضب يوماً من ابن أحد طبّاحي المأمون فهدهدته بأنه سوف يهجوّه، فما كان من خصمه إلا أن قال له: واللّه لأخرجن أمك في الخيالة، وهي إشارة إلا أن هذا الفتى سوف يطلب من أحد فناني عصره في مسرح خيال الظل لأن يصنع لعبة تشبه أم دعبل الخزاعي، ويحركها أمام المشاهدين بمواقف سيئة، من هنا ندرك ما كان يطرحه هذا المسرح على الجمهور، فإذا كان مسرح الحكواتي الجوال الذي ازدهر حينها يعتمد على سير الأبطال، وحوادث التاريخ العربي، وخاصة سيرة عنتر بن شداد، والوزير سالم، وأبو زيد الهلالي، وذلك صورة من صور تنبيه الناس إلى ماضيهم البطولي وربما الخيالي الأسطوري، فإن مسرح خيال الظل اعتمد على نقل صورة المجتمع في المرحلة التاريخية ذاتها، وتقدها النقد اللاذع والتهكمي بسخرية من نماذج بشرية محددة، وهذا الأمر الذي دعا ابن الطباخ أن يستعمل دور المسرح ووظيفته في الرد على الشاعر دعبل الخزاعي. إن اتكاء فن المسرح بأنواعه - الحكواتي والدمى بصورها الثلاث - على فلكلور الشعب / تراثه القصصي الشفاهي والمكتوب أمر في غاية الأهمية للالتفات إليه، فقد وعى الفنانون منذ وقت مبكر أهمية التراث الشعبي في مخاطبة العامة والخاصة معاً، ذلك أن هذا التراث هو جزء مهم من ثقافة المجتمع المحفوظ شعورياً ووجدانياً، وهو أكثر ممارسة في الحياة الاجتماعية والدينية معاً، وزيادة على ذلك فإن ما به من حكايات أسطورية خرافية هو ما يدغدغ أحلام الجميع صغيراً وكبيراً، وهو الجانب الجاذب الممتع في القص الحكائي، وبالتالي فإنه يعبر عن منظومة ثقافة الجماعة وليس الفرد.

### مسرح خيال الظل: البدايات

ارتبط هذا الفن في عصر العباسيين وما بعده بالأدب العربي، وهو صورة من صور المقامة التي عرفت وازدهرت في نهاية عصر العباسيين، وقد خدم مسرح خيال الظل هذا الفن الجديد خدمة عظيمة، والمنتبج لفن المقامات وأشهرها مقامات الحريري يجد أنها قد

فيها مع الهند، وإن مسرح "الواجانج" الياباني هو، بلا شك، نوع من أنواع مسرح الخيال.

مسرح الدمى بأنواعه الثلاثة مقعم بالسحر، والجو الأسطوري، ويتداخل فيه الفن مع الشعر مع الدين، ومن هنا فإن الدور الوظيفي لهذا المسرح اقتصر على المواعظ الدينية والقيم الاجتماعية، والسلوك والسلوك التربوي، هذا إذا استثنينا الهند واليابان اللتين أدخلتا الوظيفة السياسية لهذا الفن، بينما بقيت الصين والدول الإسلامية بعيدة عن هذا الطرح السياسي.

كان للدمى في صورها الثلاث خلال قرون طويلة دور في تاريخ المسرح الذي كان يخدم في الأصل المفاهيم والاعتقادات الدينية في مختلف أنحاء العالم بدءاً من الهند، التي كانت مهد هذا الفن الذي غزا العالم أجمع، وكانت العروض في بداية الأمر تُخصص للكبار، وإن كانت هناك عروض يُسمح للأطفال بمشاهدتها، وأنا أعتقد أن مسرح الدمى لم يكن مخصصاً للأطفال لأن المسرح بشكل عام كان توجيهياً، ومخاطبة الطفل من خلال شخص يعايشها كان في رأيهم هو الأسلم، فقناعة الطفل من شخص يُمثل والده أو رجل المعبود هي أفضل من قناعته من دمية متحركة يدرك الطفل أبعادها.

إن للدمى في تاريخ الشعوب دوراً توجيهياً مهماً، سواء في الحياة الدينية أم في الحياة الاجتماعية، وإن كان للدين الاهتمام الأكبر في كل فن من فنون العصور القديمة والحديثة أيضاً، ورغم هذا التاريخ الطويل على حضورها فإن الدمى لاقت من الهجران في فترات متعاقبة الكثير من الإهمال، وقد مرت بأزمة لم يكن لها أي حضور، رغم أهمية دورها الترفيهي والتعليمي والتثقيفي، وربما كان السبب وراء ذلك ظهور شخصيات ذات نمط ترفيهي مثل شخصية جحا، ونديم الخلفاء والعلماء وأصحاب المراكز العليا، وقد يكون للدين الإسلامي دور في ذلك خاصة من الغلاة والمتعصبين الرافضين لفكرة التشخيص والتقمص.

وإذا استعرضنا الطقوس الاجتماعية، والدينية التي مارسها العرب في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية سنجد أنهم قد عرفوا نماذج من المسرح الديني والثقافي كما كان يحصل في الطواف حول الكعبة أو حول أصنامهم، وأيضاً ما كان يجري في سوق عكاظ الشهير كملتقى شعري تمثيلي.

•الراقص والبهلوان.

•القراد الذي يلعب القرد.

استخدم ابن دانيال الجلد لرسم شخوصه وقصّها بالطريقة الفنيّة، ومن ثمّ معالجة الجلد حتى يصبح شفافاً واحالتها إلى دمي ذات بعدين يحركها اللاعب على وفق النص الحواري الذي تقوله الشخصية.

وابن دانيال هو الطبيب العربي الذي رحل من العراق إلى مصرهرباً من هجمات التتار إبان حكم الظاهر بيبرس، وكان في التاسعة عشرة من عمره، ودرس الطب وبرع فيه، واتخذ دكاناً صغيراً في القاهرة لاستقبال مرضاه، وكان متخصصاً في مداواة العين بالكحل، ونقرأ له ما يعبر عن هذه المهنة بأبيات من تأليفه فيها صورة ساخرة لاذعة من خلال التورية التي في كلمة أعين الناس:

يا سائلي عن حرفتي في الورى  
يا ضيعتي فيهم واقلاسي  
ما مالٌ من درهم إنفاقه  
يأخذه من أعين الناس

عاش ابن دانيال في المناطق الشعبيّة، وكان قريباً من معاناتهم، وربما هذا ما ساعده كثيراً حين بدأ مسرحه؛ ذلك أنّ القصص الشعبيّة التي سمعها من العامة الفقراء تحديداً كانت نصوصاً لبعض مسرحياته، إضافة إلى مهنته كطبيب التي تعرّف من خلالها أكاذيب بعض الأطباء، ونوادهم فانتقدها بأسلوب الفكاهة والتوجيه معاً، وقد كان ابن دانيال كما يقول ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) شاعراً طبيباً وناثراً عذباً وصنعتة ككاتب غلبت عليه، لكن حرفته التمثيل هي من أوضح صفاته، وهي الصفة التي كانت سبباً في شهرته.

ترك لنا ابن دانيال كتاباً في المسرح الذي كتبه وأخرجه ومثله هو (طيف الخيال)، وفيه ثلاث مسرحيات كتبها بنفسه هي: طيف الخيال وعجيب وغريب والمقيم والضائع اليتيم.

ويذكر بعض المؤرخين أنّ لابن دانيال ديواناً من الشعر لكن لم يُعثر على هذا الديوان، أما كتابه المسرحي (طيف الخيال) فقد نُشر في مصر العام 1963 من سلسلة (تراثنا) مع تحقيق علمي ودراسة إبراهيم حمادة، وقد نشر عادل أبو شنب الكتاب مرّة ثانية العام 1964.

كُتبت بأسلوب السجع والترادف، ربما لعجز كاتبها عن النظم، وأنها تهكميّة لاذعة، تحاول تعرية نماذج بشرية من المجتمع، خاصّة تلك الصفات التي لا يميل إليها الناس بل يمتقونها مثل البخل.

ابن دانيال أوّل من برع في هذا الفن، واسمه كما ورد في كتاب (المسرح العربي من أين وإلى أين؟) لسلمان قطاية هو شمس الدين بن محمد بن دانيال يوسف الخزاعي العربي الذي وُلد عام 646 هجري 1238 ميلادي في العراق، وتوفي في مصر عام 1311 ميلادي، ومن الطبيعي أن لا يكون هو أوّل من قام به، لأنّ الإشارات والدلائل تدلّ على أنّ هذا الفن قد كان منتشرًا ومعروفًا قبله، لكنّه، بحق، أوّل من ساعد على انتشاره حتّى إنّ بعض مؤرخي فنّ مسرح الدمى بصوره الثلاث يعدّون ابن دانيال الأب الروحيّ لمسرح خيال الظلّ، يقول الطبيب العالم ابن دانيال عن فنه (طيف الخيال) في رسالة من رسائله الثلاث التي أسماها البابات الظليّة :

خيالنا هذا لأهل الرتب

والفضل والبذل لأهل الأدب

حوى فنون الجد والهزل في

أحسن سمط وأتى بالعجب

فهذا الفن يمزج الجد بالهزل، ويوظف المهارة الفنيّة لجذب المشاهدين، وقد أدرك ابن دانيال قيمة أن تكون له شخوصه الخاصّة به في هذا المجال مثل ما يُقال هذه الأيام (لوغو) أو ماركة مسجّلة باسمه، فكانت له شخوصه التي ابتدعها كما ابتدع الفنان الفلسطيني ناجي العلي شخصية حنظلة وشخوص دانيال التي لعبت أدواراً في مسرحه هي:

• أم رشيد الخاطبة.

• الكاتب القبطي المدلس.

• الشاعر المزيف المتعجب بالألفاظ الغريبة الجوفاء.

• الطبيب الدجال الذي يرى الكسب أهم من أرواح مرضاه.

لم تنحصر شخصيات ابن دانيال عند هذه النماذج البشريّة، التي يُمكن أن يكون لها خصوصيّة الوظيفة، بل انتزع نماذج بشرية أخرى من المجتمع الشعبي الذي يعيشه، مثل شخصيات:

• المشعوذ والمنجم.

• الواعظ والحاوي.

ومثلما وصلتنا نصوص، ومعلومات عن مسرح خيال الظل في مصر على يد الفنان القشاش، فإن بلاد الشام أيضاً تركت لنا نصوصاً ومعلومات عن مسرحها هذا وخاصة في مدن كالقدس، ودمشق، وبيروت، وحلب، وحيفا، وكان هذا المسرح يُسمى باسم المسرح السوري. تأثر مسرح خيال الظل السوري الذي ظهر بعد المسرح المصري بقليل بالمسرح التركي، وخاصة بتوظيف شخصية (كراكوز) التركية بينما لم يتأثر المسرح المصري بالمسرح التركي، وكلمة كراكوز هي كلمتين باللغة التركية تعني كرا: أسود، وكوز: عين فيصبح المعنى: العين السوداء، وهذه الشخصية دخلت المسرح السوري بديل المهرج، وهي دائمة السخرية من الحدث الذي تقدمه.

### مسرح خيال الظل: ملامح وعروض

مسرح خيال الظل مسرح بسيط متنقل يسهل حمله وفكّه وتركيبه، ويكون عادة من الخشب، وهو مجهز على شكل غرفة ذات جدارين متقابلين، وثوابت أمامية وخلفية، وتثبت قطعة قماش على الواجهة الأمامية ثم تسلط عليها إضاءة قوية من الخلف تقع مباشرة على الأشكال التي تمثل شخصيات أو نباتات، وهي مصنوعة من الجلد الشفاف طول القطعة يتراوح بين ثلاثين إلى سبعين سنتمترًا، ويحرك المخرج هذه الأشكال بعصا طويلة فيها ثقب متصلة مع الثقوب الموجودة في الأشكال، ويقال إن الثقوب في الشكل من أجل الرد على المتزمتين دينياً بأن هذه الأشكال لا روح ولا حياة فيها، فقد كان المشرفون على هذا المسرح يعانون من الذين يمانعون التخيل عقدياً.

كانت الموسيقى تُصاحب العروض المسرحية مع الغناء، ومن هنا فإن وجود آلات العزف مثل الطبل والرق والناي كان ضرورياً إلى جانب المغني صاحب الصوت الجميل لاستمالة المشاهدين، ورغم أن بعض الأغاني والأناشيد قد كتبت بالعربية الفصحى، لكننا نجد في كل عرض أغنية أو أكثر باللغة العامية الدارجة.

وبما أن المسرح بسيط في صناعته لذا يمكن تثبيته في داخل المنازل الخاصة عند الطلب، فقد اعتاد بعض الوجهاء، وأصحاب النفوذ نقل مسرح خيال الظل إلى داخل بيوتهم ليستمتعوا بالعرض مع زوارهم وضيوفهم، أو عند إقامتهم الأعراس والمناسبات، وهو في العادة يُنصب في الأماكن العامة وأشهرها المقاهي والساحات المفتوحة، وأكثر العروض كانت تُقام في شهر رمضان.

والغريب أنه حين صدرت الطبعة الأولى محققة لكتاب طيف الخيال واجهت نقداً لاذعاً من كتاب مصر في ذلك الزمن من أمثال محمد مندور ومحمود تيمور وفؤاد دواره، فقد أنكروا هؤلاء الثلاثة أن تكون كتابات ابن دانيال مسرحاً بالمعنى الحقيقي للمسرح، وأظن أن مفهوم هؤلاء النقاد المتميزين قد تأثر بالتعريف الأوروبي لمفهوم المسرح، خاصة أن الغرب في تلك الفترة قد أوهم المبدعين والمؤرخين بأن الفن المسرحي لم تعرفه البلاد العربية، بل لم يكن موجوداً ضمن أدبيات العرب المسلمين قبل أن تكتبه وتمارسه أوروبا، وقد ظل هذا المفهوم سائداً طويلاً من الزمن عززه أمثال هؤلاء النقاد المتميزون الذين لم يحاولوا أن يبحثوا في تاريخهم عن تراثهم المسرحي!

### مسرح خيال الظل: الامتداد

لم تستمر النشاطات المسرحية لعروض مسرح خيال الظل بعد ابن دانيال، ولا يذكر المؤرخون لهذا الفن المسرحي أي تفسير على هذا الانقطاع، وبعضهم حاول الاجتهاد بذكر بعض الأسباب منها الحالة السياسية: الظلم، والحالة الاجتماعية: الفقر متناسياً أن مثل هاتين الحالتين لم تغيبا أبداً عن أي مجتمع بشري، وهذه الأسباب نفسها كانت دافعا لابن دانيال لعروضه المسرحية، يبقى أن نقول إن توقف عروض مثل هذا الفن يبقى ضمن حسابات التخمين، ومع ذلك فمن غير المعقول أن يختفي هذا الفن اختفاء تاماً، ونرجح أنه قد كان موجوداً ليس كما كان عليه أيام ابن دانيال، ومن هنا نستطيع القول: إن مسرح خيال الظل بقي يُعرض في أماكن متفرقة من أنحاء مصر وبلاد الشام، وهذا ما يفسر ظهوره بقوة بعد ذلك بستة قرون في مصر الموطن العربي الأول لهذا الفن على يد الفنان القشاش الذي ظهر في القرن التاسع عشر للميلاد بمسرحية هي (المنزلة) وقد طبعتها في كتاب قال فيه كما ورد في كتاب (تاريخ المسرح العربي): هذا ديوان خيال الظل مجموع من أغاني الشيخ سعود والشيخ على النهلة، ومن أغاني رئيس المشخصين داوود بائع العطور.

لقد جمع القشاش أعمالاً غير (المنزلة) وقام بعرضها على الجمهور مستعيناً بقدرته على التأليف، بخاصة الأغاني التي كانت تتخلل العرض المسرحي، ولم تقتصر شخوص القشاش على الشخصيات المألوفة لدى العامة بل ابتكر شخصيات جديدة بهدف جذب الجمهور إلى مسرحه.